القاموس الجغرافى للبلاد المصرية
من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥*

للأستاذ الدكتور محمد السيد غلاب

هذا كتاب من الكتب القليلة التي تعنى بتدوين أسماء البلدان وتحقيق مواقعها، وتتبع تاريخها ، وهو يأخذ مكانه إلى جانب نظائره الهامة ، التى لا تتكرر إلا فى فترات متباعدة ، تحسب بالقرون أو على الأقل بعشرات السنين ، مثل البلدان لليعقوبى (ت ٢٨٠ هـ) ، وياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ) والبيان والإعراب للمقريزى (ت ٨٤٥هـ) والتحفة السنية لابن الجيعان(ت٨٨٥هـ) والخطط التوفيقية لعلى مبارك (ت١٣١١هـ) ولذلك يعتبر هذا الكتاب صورة للعمران المصرى ، فى وقت معين ، تضاف إلى صور العمران المصرى فى أوقات سابقة ، صورة تلخص صوراً سابقة أو تجلوها وتشرحها أو تكمل ما سبقها من صور ، وهو وثيقة مهمة من وثائق وصف مصر، فى العصر الحديث ، سجلت أشكال العمران المصرى ، من قرى قديمة وحديثة ، مندرسة وباقية ، صغيرة وكبيرة ، وبلدان ومدن ، هذه الوثيقة النفيسة ذات قيمة كبرى لدارس جغرافية مصر وتاريخها ، المتبع لتطور عمرانها .

المؤلف ومنهجه :

ولد المؤلف محمد رمزى فى مدينة المنصورة يوم ١٧ من أكتوبر عام ١٨٧١. وكان أبوه عثمان بك رمزى ، من رجال الخديو ، وجده مصطفى أغا كسكة من رجال المدفعية الأتراك الذين عملوا مع سليمان باشا الفرنساوى فى تنظيم الجيش المصرى وتحديثه فى عهد محمد على .

وقد تلقى تعليمه فى المدارس الأميرية بالمنصورة والقاهرة . والتحق بمدرسة الحقوق الخديوية ، ولكنه لم يكمل دراسته بها ، والتحق بوزارة المالية بوظيفة كتابية

---

* ألقى هذا البحث فى الجلسة الرابعة من جلسات المؤتمر صباح يوم الأربعاء غرة ذى القعدة سنة ١٤١٦هـ الموافق ٢٠ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٦م .

صغـــيرة ، ثم نقـــل إلى وزارة الداخليـــة بوظيفـــة معـــاون إدارة وظـــل يتنقـــل بين أسوان وأسيوط وميت غمـــر ومنيـــا القمح .

وعاد إلى وزارة المالية مرة أخـــرى ، وعمل فى لجان ربط الضرائب عام ١٩٠٥ ورقى إلى وكيل مفتـــش ماليـــة بمراقبـــة الأموال المقررة، وظل يعمل فى هذا المجـــال وتجول فى مديريات جرجا وأسيوط والمنيا وبنى سويف ، حتى أحيل إلى المعاش عـــام ١٩٣١ وتوفى عام ١٩٤٥ .

ويبدو من تاريخ حياة المؤلف أنـــه لم يكن مؤهلا إلا لكي يكون موظفًا إداريـــا فى الحكومة ، ولكن شيئًا مّا تحرك فى عقله ووجدانه ، وجعله لا يقنع بربط الضرائب على الأطيان ، أو بمعاينة الحياض والتحقق من المساحات ، أو قيد أسمـــــاء القـــرى والبلدان ، بل إنه بحسه المكانى والزمـــانى ، ذهب إلى أبعد من هذا وضرب فى أغـــوار التاريخ ، بحثًا عن أصول القرى والبلدان ، أصولها التاريخية وأصولها المكانية ، وقـــد اهتدى بحسه الجغـــــرافى التـــاريخى ، إلى مبادئ مهمة توصل إليها علمـــاء الآثـــار والجغرافيا التاريخية، فهذه أرض مصـــــر ، توالت عليها العصور والحضارات فترسبت فيها سماتها طبقة بعد طبقة ، على مـــــدى آلاف الأعوام ، طبقات التاريخ الفرعونى، ثم التاريخ الإغريقي الرومانى ثم التـــــاريخ البيزنطى أو القبطى ثم التـــــاريخ العـــربى الإسلامى ، وتركزت السمات الحضاريـــة المتعاقبة فى أسماء المحلات العمرانية ، فـــهى علامة الوجود الإنسانى فى سطح الأرض ، وهذه العلامة تحمل الطـــــابع الحضـــارى لفترات التاريخ المتعاقبة .

وعندما يحاول الباحث أن يبحـــث فى أصول أسماء القرى والبلدان فإنما هو ينقب فى طبقـــات التـــاريخ ، كمـــا ينقـــب الجيولوجى فى طبقات الأرض ، أى أنـــه ينقب فى البعد الثالث وهو البعد الزمـــني، ومن ثم لا تنفصل عنده الجغرافيـــا عـــن التاريخ ، الجغرافيا هى المكان ، ولكـــن لا وجود لمكان دون زمان ، والزمان يضـــع سماته أو بصماته على المكان ، وهى سمات حضارية ، تتمثل فى اختيـــار المواقـــع ، وإكسابها أهمية خاصـــة ، اقتصاديـــة أو اجتماعية أو سياسية ، ويتغير الزمـــان ، وتتغير الحضارات ، وتترك كل حضـــارة سماتها على المكان ، سمة بعد سمة ، وقـــد

تتغير السمات ، كما قد تندثر ، وتزول أو قد تترك سماتها على حوض زراعي أو حقل.وهكذا يحدث التغير والتحول ، وقد يدق هذا التغير على العين فلا تلحظه فتندثر قرية من القرى ، بل مدينة من المدن ، ولكن اسمها يظل عالقًا بمكان ما ، أطلق عليه المؤلف وبعض المؤرخين اسم غيط بلا حيط، أى اسم قرية ذهبت ولم تترك حائطًا ، وأطلق اسماً على الأرض فقط ، أى على الغيط .

ولابد أن المؤلف كان ذا ثقافة تاريخية واسعة وكان لديه حس خاص بالمكان ، أى كان جغرافيا تاريخيا ، وإن لم يتبوأ مركزا أكاديميا معينًا، وكان يسمي وظيفته " الوظيفة الصامته " ، يحمل فى حقيبته خطط المقريزى وخطط على باشا مبارك ، يسترشد بهما فى تنقلاته فى الريف لتحقيق تاريخ البلاد المصرية وأسماء مواقعها ، وبذلك جمع بين الدراسة والبحث والتحقيق العلمى ، وبين الدراسة الحقلية ، وبذلك أكسب دراساته مصداقية نادرة .

كما أنه أوغل فى مؤلفات إميلينو (جغرافية مصر فى العصر القبطى ، باريس ١٨٩٣) وهنرى جويتيه (قاموس الأسماء الجغرافية فى النصوص الهيروغليفية ، القاهرة ١٩٢٥) وقيت (مصر العربية، باريس ١٩٣٧) وأبو صالح الأرمنى (الكنائس والأديرة المصرية ، اكسفورد ١٨٩٥) ، وقادته أبحاثه إلى استقصاء أسماء المحلات العمرانية فى وظائفها المختلفة ، ما كتب عنها باللغة المصرية القديمة ، أو السريانية ، أو القبطية ، أو الإغريقية ، أو اللاتينية ، وقادته أيضا إلى دراسة التاريخ المصرى القديم ، غير أنه كان أكثر اهتمامًا بالتاريخ العربى الإسلامى ، فقرأ ما كتبه الرحالة المسلمون ، وما سجلته كتب الجغرافيين المسلمين ، مثل المقدسى وابن رسته من علماء القرن الرابع الهجرى ، المسالك والممالك لابن حوقل، والمسالك والممالك لابن خرداذبة ، والمسالك والممالك لابن مصعب البكرى، واهتم بصفة خاصة بقوانين الدواوين لابن مماتى (ت ٦٠٦ هـ) ومعجم البلدان لياقوت الحموى ، وقرأ بعناية النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى (ت ٨٧٤هـ) وبدائع الزهور لابن إياس (ت ٩٣٠هـ) وتاج العروس لمرتضى الزبيدى (ت ١٢٠٥) .

وقد ظل فى وظيفته بوزارة المالية مـــا يقرب من ثلاثين عاما ، وتغلغل فى القرى والنواحى منقبا محققا لما قـــرأ فى تلـــك الكتب حتى عرف أصولها أو كاد، وصـلر الحجة الكبرى بين الإخصائيين فى هـــذا الشأن، وعكف بعد بلوغه الستين علـــى إظهار تلك التحقيقات فى شكل كتـــب واستدراكات ، وكـــان يحقـــق الأسمـــاء الجغرافية على الخرائط ويزيد على جزازاته القديمة كل جديد .

وعكف بعد إحالته إلى المعاش علـــى كتابة التحقيقات الجغرافية لكتب تـــاريخ مصر فى العصر المملوكى ، مثل النجـــوم الزاهرة ، ونقل كتاب تحفة الإرشاد مـــن مكتبة الأزهر ، بعد أن تبين له أنه يحتـــوى على أسماء البلاد المصرية ، الـــتى وررت فى الروك الحسامى الذى عمل سنة ٦٩٧هـــ وتتبع هذا الكتاب عام ١٩٣٣ حتى وجـد نسخة مخطوطة لـــه فى المعـــهد العلمـــى بدمياط ، وفى عام ١٩٣٣ أيضا فكـــر فى إعادة طبع التحفة السنية لابن الجيعـــان ، وذلك لتصبح النسخة المطبوعة فى مصـــر سنة١٨٩٨ لحساب دار الكتب المصرية ، والتعليق على أسماء القرى والمدن وما طـرأ عليها من تحريف ولإظهار القرى الباقيـــة والقرى المندرسة منها .

ويحتل كتاب التحفة الســـنية لابـــن الجيعان مكانا خاصا فى مكتبة محمد رمزى الجغرافية التاريخية ، فهو يقول عنه " وقـــد اتخذت كتاب ابن الجيعان أساسًا لأبحـــاثى ووثيقة رسمية بين ما ظهر قبله من الكتـــب التى من نوعه فى السنين السابقة على ســـنة ٨٨٣هـــ التى توافق سنة ١٤٧٧ وبين مـــا ظهر منها بعد هذا التـــــاريخ ، وبذلـــك أمكننى أن أعرف البلاد التى درست مـــن الروك الحسامى ، والبلاد التى اســـتجدت فى الروك الناصرى، ثم ما عرفته فيما بعـــد من دار المحفوظات بالقلعة والحجج بوزارة الأوقاف والمحاكم الشرعية، مما استجد وما اندثر من القرى المصرية فى عهد كتـــاب التحفة إلى اليوم .

وظل يكتـــب التعليقـــات الأثريـــة والجغرافية لكتاب النجوم الزاهرة ، الـــذى كانت تنشره دار الكتب المصرية ، مـــن الجزء الرابع حتى الجزء التاسع ، أى مـــن سنة ١٩٣٣ إلى سنة ١٩٤٥ ، وقد ظلـــت دار الكتب تنشر تعليقاته التى خلفها علـــى

هذا الكتاب إلى آخر الجزء الحادى عشر أى إلى سنة ١٩٥١ .

وقد نشر المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة استدراكه على كتاب جغرافية مصر فى عهد القبط للمسيو إميلينو فى الجزء الثالث من كتاب ماسبيرو ، وذلك من ص ٢٧٤ إلى ص ٣٢١ .

وفى عام ١٩٤١ وضع " الدليل الجغرافى " لأسماء المدن والنواحى المصرية المعتبرة وحدة عقارية لحصر الأراضى وتحصيل الأموال المقررة ، وقدمه لمصلحة المساحة فطبعته على نفقتها ، ويستفاد من الصفحة ومن مقدمة الكتاب أنه من وضعه .

وكان رحمه الله دائم الاتصال بالعلماء ورجال الآثار المهتمين بتاريخ مصر وآثارها ، فتعرف على المرحوم الدكتور عزيز سوريال ، الذى أطلعه على نسخ مخطوطة مصورة بالفتوغرافيا فى مكتبات أوروبا ، من كتاب ابن مماتى فوجد فى الباب الثالث من هذا الكتاب ضالته المنشودة ، وهى أسماء جميع النواحى المصرية التى كانت وحدة مالية فى ذلك الوقت وراجع هذه النسخ التى كتبت قبل قرون من كتابه - قوانين ابن مماتى، ووجد أن جميع أسماء القرى قد وردت فى كتاب تحفة الإرشاد إلا القليل مما سقط سهوا وعددها ٥٦ ناحية .

ولم يشغله هذا البحث المستمر فى أسماء القرى والنواحى فى أنحاء مصر المختلفة عن القيام بنبذة عن الوصف الطبوغرافى بالعباسية ، أو تلك التى تتوسطها المدرسة الإبراهيمية الثانوية ، ومدرسة بنبا قادن الثانوية ، أو تاريخ شبرا وروض الفرج وتحولات مجرى النيل فى منطقة القاهرة ، ومكان فم الخليج المصرى عند فتح العرب لمصر ، أى دراسة ميكروطوبغرافية لبعض المواضع .

وقد سبق له أن نشر عام ١٩٢٥ مذكرة ببعض الأخطاء التى وقعت فيها مصلحة التنظيم فى تسمية الشوارع والطرق بمدينة القاهرة وضواحيها قدمها لوزير الأشغال حينئذ .

وله أبحاث عديدة لم تنشر ، عن التقسيم الإدارى لمصر فى عهد الفراعنة إلى اليوم ، وتاريخ مساجد القاهرة ، وشرح الخطط المقريزية والتعليق عليها والتعليق

على أطلس مصـــــر لعمـــر طوســون ، واستدراكات على ما كتبه جونييه وجون بول واميلينو وقيت .

وكان رحمه الله ، بحكم خبرته العملية ودرايته العلمية واطلاعه الواسع عضـوا فى المجلس الأعلى لحفظ الآثـــار العربيـــة ، وعضوا فى لجنة تسمية شوارع القـــاهرة ، وعضوا فى لجنة التقسيم الإدارى ، وعضوًا بمجلس حسبى مصر الاستئنافى .

وكان دائم العمل فى جزازاته التاريخية الجغرافية والتى بلغت نحو عشـــــرة آلاف جزازة ، يراجعها باستمرار ، ويعدل فيـها حتى آذنت شمس حياته بالغروب فى فبراير سنة ١٩٤٥ .

الكتاب

ينقسم كتاب القاموس الجغرافى للبلاد المصرية إلى قسمين : القسم الأول عـــن البلاد المندرسة ويقع فى ٤٧٨ صفحة من القطع الكبير ، والقسم الثانى عن البـــلاد الحالية ويقع فى أربعة أجزاء ، مضافا إليـها مجلد يشتمل على فهرس عام لأسماء القرى والبلاد والمدن ، ويتضمن نحـــو ١٤٠٨٠ اسما بينما كان عدد القرى والبلدان يزيـــد قليلا على ألفى قرية فى أى عصـــر مـــن العصور .

القرية هى عماد العمران المصـــرى ، كما أن الزراعة هـــى عمـــاد الاقتصـــاد المصرى ، وقد نشأت القرية نتيجة نشـــأة الزراعة نفسها فى حوض نهر النيـــل الأدنى ودلتيه وهى أحد المحاور الرئيسية التى يدور حولها الكتاب ، ويرتبط بالقرية الحيـــاض الزراعية ، ومن ثم كان أحد محاور الكتاب الرئيسية هى مساحة الأرض وفك الزمـــام أو التأريع أو الروك ، وكلها مصطلحـات للعمل المساحى للأرض ، ويتصـــل بهـــا وحدة القيـــاس المســـتخدمة كالقصبـــة والفدان، أما المحور الثالث فـــهو نظـــام الحيازة ، وأخيرا يأتى المحور الرابع وهـــو التقسيم الإدارى للبلاد .

وقد نشأت القرية نتيجـــة اســـتقرار الإنسان فى الأرض وبدء اســـتخدامها فى إنتاج الطعام ، وهذا تطور حضارى كبـير لابد وأنه استغرق ردحًـــا مـــن الزمـــن. وكانت مصر من أوائل بقاع الأرض الـــتى حدث فيها هذا التطور الخطير ، وشاركها فى هذا إقليم ما بين النهرين:العراق الأدنى، وحوض نهر السند وحوض نهر هوانج هو

في الصين ، وحدث هذا التطور عندما قلت الأمطار التى كانت تهطل فى العروض الوسطى فوق ما أصبح فيما بعد يعرف بالنطاق الصحراوى الكبير ، الممتد من المحيط الأطلنطى حتى تخوم الصين ، عبر الصحراء الكبرى وشبه جزيرة العرب وإيران . وفي أثناء الفترات المطيرة كان الإنسان يعيش على جمع الثمار والتقاطها وعلى صيد الحيوان، وكان الإنسان يمر بدور حضارى طويل يسمى العصر الحجرى القديم وقد امتد هذا الدور نحو ٥٠٠,٠٠٠ سنة .

عندما حل الجفاف محل المطر فى هذا النطاق العريض (من ١٥ إلى ٣٠ شمالا) اضطر الإنسان إلى الالتجاء إلى الواحات والعيون ، حيث يجرى الماء أو ينبثق طوال العام. وكان وادى النيل الأدنى ودلتاه خير ملجأ يأوى الجماعات البشرية ويجتذبها من الصحارى التى تحيط به،وتضافرت ظروف نباتية أخرى ، إلى جانب الظروف المناخية فى أن يهتدى الإنسان إلى معرفة الزراعة ، فنشأت مجتمعات زراعية على طول وادى النيل الأدنى بمصر فى تاريخ يقدر بالألف العاشرة إلى الألف السابعة قبل الميلاد.

وبذلك دخل الإنسان فى مصر فى العصر الحجري الحديث ، وحقق أول ثورة إنتاجية فى تاريخ البشرية ، إذ تحول من مجرد مستهلك لما تقدمه له الطبيعة من طعام ، إلى منتج له، واستطاع أن يؤمن طعامه ، بعد أن كان يعيش تحت رحمة الطبيعة . والزراعة معناها أيضًا انتقاء أنواع معينة من المملكة النباتية ، يضع بذورها فى الأرض ويعتنى بها، كما أن استئناس الحيوان يعنى انتقاء أنواع معينة من المملكة الحيوانية يربيها ويعنى بها، وقد سارت الزراعة وتربية الحيوان أو رعيه جنبًا إلى جنب .

وقد أظهر البحث الأثرى فى مصر فى عصر ما قبل التاريخ ، أن هناك عديدًا من القرى نشأت على ضفاف النيل من "مرمدة بنى سلامة "جنوبيّ محافظة البحيرة شمالا إلى شماليّ أسوان جنوبًا ،وذلك فى عهد سبق قيام الأسرات ، فيما يعرف بعصر ما قبل الأسرات ، ويقدر تاريخه بنحو ٤٥٠٠ سنة قبل الميلاد إلى نحو ٢٠٠ قبل الميلاد ، وقد تمت فى هذا العصر إنجازات مهمة لها أبلغ الأثر فى وضع أسس العمران البشرى فى مصر ، منها تطهير

وادي النيل الأدنى من النباتات الضـــارة والحيوانات المفترسة ، وتجفيف المستنقعات أى تهيئة الوادي للزراعة ، وإنشاء القـرى وبنائها فوق أكوام صناعية تعلـو فـوق مستوى الفيضان ، وإقامة ضفـاف وادي النيل أو ما يسمى الآن بجسـور النيـل ، لحماية الأرض الزراعية من طغيان المـاء عليها ، وتقسيم الحياض وإنشاء أول نظام رى ربما فى العالم ، ولا تـزال الجسـور قائمة، ولا تزال المدن والقـرى القديمـة قائمة فوق التلال الصناعية،ولا يزال يحيط بها طريق دائري يسمى دائر الناحيـة ، ولا تزال قرى متكتلة تتكأكأ فيـها حوائـط البيوت ، ولم تتحرر القرى القديمة مـن تخطيطها القديم إلا بتقدم مشاريع الـري الدائم ، وأخيرا وليس آخـرا اكتشـف مصريو ما قبل الأسرات التقويم الشمسي، حيث لاحظوا وصول بشائر مياه الفيضان مع شروق الشمس ووجود نجم الشـعري اليمانية فى وقت واحد ، وعندما تتكـرر هذه الظاهرات الطبيعية يكون قد مر حول كامل . وهناك دلائل على بزوغ أصـول الكتابة ، فى هذا العصر الذى مهد لوحـدة البلاد ، والذي عرف بعصر الأسـرات ، وبدء التاريخ المصري .

القرية هي أساس العمران المصـري ، وقامت القرى فى العصور المتعاقبة علـى أسس قرى عصر ما قبـل الأسـرات فى الأعم الأغلب ، وتغيرت أسماء كثير مـن القرى أو حُرف أو انتقـل إلى حـوض زراعى فى حالة اندثارها ، وعندما دخـل العرب مصر حشدوا جيشا عرمرمًا مـن المترجمين القبط واليونان، لحصـر أسمـاء القرى المصرية.هذا الجيش أبقى على أسماء القرى بحالها أو حرفه قليلا ليصل إلى سمـع العربى ، أو ترجم بما قـارب فى اللفـظ الكلمة العربية، وهذا على عكس ما فعلـه الإغريق عندما حكموا مصـر (عصـر البطالمة) ، فقد وضعوا لقراهـا ومدنهـا أسماء يونانية ، وإن كانوا أيضا ترجمـوا أسماء الآلهة بما يقابلها فى اليونانية ، ولحسن الحظ لم تنل هذه الأسماء اليونانية حظا من الشيوع لدى المصريين ، وعاد المصريـون بعد زوال الحكم البيزنطي إلى أسماء قراهـم ومدنهم القديمة ، وبذلك بقيت أسماء المدن المصرية وقراها المصرية حتى الفتح العربى .

غير أن الحكم البطلمى أنشأ عددا من المدن والقرى اليونانية فى الدلتا والصعيد ، أشهرها العاصمة نفسها ، الإسكندرية ، كانت بمثابة مستعمرات يونانية ، تسود فيها القوانين والأعراف اليونانية ، وكان يحرم عند إنشائها إقامة المصريين فيها .

ويسبق أسماء بعض القرى كلمة كفر، وهى كلمة سريانية تعنى قرية ، أما العرب فيسمونها كورة ، وقد شاع استعمال ميت وتعنى ميناء، وتطلق على القرى التى تطل على النهر أو الترع الكبيرة وبها مراسي للسفن ، كما تعنى كلمة بولاق ميناء أيضا ، كما شاع استخدام كلمة نجع أو نزلة بمنازل العربان ، وذلك فى العصر العثماني. أما كلمة أبعادية فقد استجدت فى عصر محمد على ، وكانت تطلق على الأراضى المستصلحة التى كان يقطعها محمد على لرجاله ، وكانت تبعد عن مراكز العمران، وقد استبدل بها كلمة عزبة، أما ما يستجد من مظاهر العمران فتسمى منشأة أو منشاة أو منشية .

كانت أرض مصر منذ الفتح العربى إلى عصر محمد على أرضا خراجية ، أى ملكا صريحا لبيت المال أو السلطان أو الحكومة القائمة ، وكان الملتزمون أو المقطعون (الذين تقطع لهم أراضى) يدفعون ما عليها من المال خراجًا سنويا ، ما عدا الوقف والرزق والكروم والبساتين فكانت معفاة من الخراج نوعا ما،ولم يكن للملتزمين أو المقطعين حق الملك بأي حال من الأحوال ، ولما تولى محمد على أبطل الإقطاع والالتزام سنة ١٢٢٨ هـ - ١٨١٣م ووزع أرض كل ناحية على أهلها، وقيد أطيان كل ناحية بأسماء واضعي اليد عليها ، لدفع الضريبة العقارية دون التملك أو التصرف فيها، وسميت هذه الأراضي بالأراضي البور لاستصلاحها ، على أن يربط على المستصلح منها العشر من غلتها ، وهذه سميت بالأراضي العشورية .

وقد استمرت الأرض الخراجية ملكا صريحًا للدولة حتى أواخر عصر إسماعيل عندما أصدر قانون المقابلة ١٢٨٨ هـ - ١٨٧١م عندها سمح لواضع اليد بالتملك بعد أن يدفع أموال الأراضي الخراجية والعشورية ست سنوات، وبذلك أجاز إسماعيل ما لم يكن جائزا منذ الفتح العربى.

ومساحة الأرض الزراعية فى مصر ضرورية لتقدير الضرائب عليها ، وهى المورد الرئيسي للخزانة العامة ، وكانت الأرض تقدر مساحتها حينًا بعد آخر وتلك العادة كان معمولا بها قبل الفتح العربى ، وظلت بعده حتى الآن. كما تقدر مساحة الأراضى الزراعية بقدر درجة خصوبتها ، وكان هناك ما يشبه العقد بين الفلاح والحاكم، فعندما يحين وقت فيضان النيل يجتمع العلماء والوجهاء وأرباب الحرف ، فيما يمكن أن نعتبرهم ممثلين للشعب ، عند مقياس النيل بالروضة ، ويشهدون مقدار ارتفاع مياه الفيضان ويحررون مع رجال السلطان وثيقة ، يحرر فيها ما إن كان الخراج مستحقا على كل الأراضى ، أو يعفى ويخفض جزء منه ، يكون قد أغرق (إن كان الفيضان مرتفعًا) ولم يصل إليه الماء.

ولقد عملت المساحة فى العهد العربى الأول فى خلافة هشام بن عبد الملك الخليفة الأموى وولاية الوليد بن رفاعة الفهمى على مصر ، وكانت مساحة أرض مصر الزراعية ثلاثة ملايين فدان تقريبا ، كما ورد فى كتاب فضائل مصر المحروسة لعمر بن محمد الكندي ، وفتوح مصر لابن عبد الحكم وخطط المقريزي (ج ١ ص ٩٨) وكان ذلك عام ١١٠هـ التى توافق ٧٢٩ م .

وعملت مساحة ثانية فى خلافة المعتز بالله العباسى وإمارة أحمد بن طولون وكانت مساحة الأرض الزراعية مليونين ونصف مليون فدان ، وذلك فى عام ٢٥٥هـ التى توافق ٨٦٩م .

وذكر المقريزى (ج : ص ٧٣) أنه عثر على جريدة عتيقة بقلم بولس بن شفا الكاتب القبطى متولي الخراج فى الدولة الإخشيدية تشتمل على ذكر كور مصر وقراها إلى سنة ٣٤٥ هـ قال فيها إن عددها ٢٣٩٥ قرية ، منها بالصعيد ٩٥٦ قرية وبأسفل الأرض ١٤٣٩ قرية .

وعملت مساحة فى عهد الدولة الفاطمية ، نقل أبو صالح الأرمنى منها أسماء القرى. ومن أهم المساحات التى عملت هو الروك الحسامى ، نسبة إلى حسام الدين لاجين سنة ٦٩٧هـ (١٢٩٨م) فى عهد الملك الناصر صلاح الدين الأيوبى وقد وصلتْ إلينا نتيجة هذه المساحة فى كتاب تحفة الإرشاد ، وهى

أقدم كتاب عربي مخطوط ظهر شاملا لأسماء القرى المصرية ، وقد سبق ذكر جهد المرحوم محمد رمزي فى نشر هذا الكتاب وكان عدد قرى مصر وقتذاك ٢٠٧١ قرية .

وتمت مساحة أخرى لأرض مصر فى عهد الملك الناصر بن قلاوون ، سميت الروك الناصرى ، وذلك لعام ٧١٥ هـ الموافق ١٣١٥ م ، وقد ذكر هذه المساحة المقريزى فى خططه (ج ١ ص ٨٧) .

وقد تجدد ذكر هذه المساحة المعروفة بالروك الناصرى عدة مرات ، حتى استقرت فى كتاب ابن الجيعان المعروف بالتحفة السنية ، فى عهد الملك الأشرف قايتباى (٨٨٣هـ) ، ويتضح منها أن عدد قرى مصر ٢٤٨٠ قرية ، منها ١٧٣٩ قرية بالوجه البحري و ٧٤١ بالوجه القبلي وقد بلغ مجموع عدد القرى القديمة، أى التى كانت موجودة إلى نهاية عصر المماليك وظلت قائمة إلى نهاية سنة ١٩٤٣م ٢١٧١ قرية ، منها ٧٠٧ قرية فى الوجه القبلي وفى الوجه البحري ١٤٣٦ وفى مصلحة الحدود ٢٨ قرية .

وقد تم عمل مساحة فى عهد محمد على،وهذا ما عرف بتأريخ سنة ١٢٢٨هـ وقد ظلت كلمة تأريخ تستخدم ويقصد بها دفاتر المساحة حتى آخر عهد سعيد باشا ، ولم تكن هناك مصلحة للأعمال المساحية منذ الفتح العربى حتى عام ١٨٧٩ وهى السنة التى أسست فيها مصلحة التأريخ .

وكانت القصبة هى وحدة القياس منذ الفتح العربى حتى صدر منشور بإبطال القصبة نهائيا ، واستبدل بها الجزير المستعمل فى مصلحة المساحة منذ أول يناير سنة ١٨٩٩ إلى الآن ، واستمرت عملية المساحة من سنة ١٨٩٩ إلى سنة ١٩٠٦ وعملت خرائط مساحية ودفتر مساحة ودفتر مكلفات ، ونشرت وزارة المالية جدولا بأسماء البلاد المصرية سنة ١٩١٠ ، وكان مجموع البلاد فيه ٣٧٧٥ ناحية ، كما أصدرت وزارة الداخلية علم ١٩٢٨ جدولا بأسماء البلاد المصرية وكان مجموعها ٣٩٨٣ ناحية، وكانت جملة النواحي الحديثة لغاية نهاية سنة ١٩٤٣ م ٢٠٩٢ ناحية ، منها ١٠٢٢ ناحية فى الوجه القبلي و ١٠٠٣ فى الوجه البحري

و ٦٠ فى مصلحة الحدود. قسم المرحوم محمد رمزى قاموسه إلى قسمين البلاد المندرسة والبلاد الحالية ، وفرق فى البلاد الحالية بين البلاد القديمة حتى نهاية عصر المماليك سنة ٩٢٢ هـ ١٥١٧م والبلاد الحديثة التى تكونت بعد دخول العثمانيين مصر ، وجعل الحد الفاصل بين القرى القديمة والحديثة كتاب التحفة السنية لابن الجيعان (ت ٨٨٥هـ) .

وهذه بعض أمثلة مأخوذة من الجزء الخاص بالبلاد المندرسة :

أبوابيس : وردت فى الخطط التوفيقية مع أبو صير قوريدس (أبو صير) مركز الواسطى وقال إن الأسكندر أنشأها وسماها كليوباتريس .

أنصنا : ورد فى تاريخ مصر أنه كان يوجد فى شرقى النيل بالصعيد بلدة قديمة تسمى Besa " بيسا " وفى سنة ١٣٠م أنشأ الامبراطور هدريان الرومانى ملك مصر بأرض بيسا قبرا لغلامه انطونيو (أنطونيوس) الذى غرق عندها فى النيل ثم بنى أعيان بيسا مساكنهم حول حدائق هذا القبر، فعرفت المدينة من ذلك الوقت باسم مدينة Antinoe تخليدا لذكراه، وبذلك اختفى اسم بيسا من عداد النواحى المصرية .

ووردت فى الخطط التوفيقية باسم بيز وقال إنها كانت موجودة قبل أنصنا .

ويقال لمدينة أنطنوية ENSENE أو ANCINA سماها العرب أنصنا وكانت قاعدة كورة أنصنا ويسميها القبط أنصله ENSENE والعامة يقولون مدينة النصلة .

ووردت فى معجم البلدان بأنها مدينة أزلية على شرقى النيل من الصعيد بمصر ، ووردت فى التحفة ضمن النواحى المالية من أعمال الأشمونين .

أهريت EHRIT : تبين لى مما ورد فى كتاب المسالك لابن حوقل بأن أهريت كانت واقعة شرقى النيل جنوبى ناحية بياض النصارى التى بمركز بنى سويف ، ومما ورد فى الانتصار أنها كانت واقعة على شاطئ النيل ، بدليل أنها ذكرت باسم أهريت وجزائرها ، ومما ورد فى التحفة السنية باسم أهريت من الأعمال البهنساوية ، ومما ذكره بروكس بأن أريت ARIT كانت بالقرب من Hipponn وهى التى تعرف باسم الحيبة الواقعة على الشاطئ الشرقى للنيل بمركز الفشن .

فبناء على هذه البيانات وإقرار كبار السن من قرية الشيخ فضل تبين لى أن أريت التى وردت فى قاموس جوتييه وEHRIT التى وردت فى كتاب أميلينو هما اسمان لقرية واحدة، الأول اسمها المصري والثاني اسمها القبطي، وأن هذه القرية لا تزال موجودة وهى التى تعرف اليوم باسم الشيخ فضل الواقعة على شاطئ النيل الشرقى تجاه بنى مزار والقيس بمركز بنى مزار بمدينة المنيا، وقد تغير اسم هذه القرية فى العهد العثمانى نسبة إلى الشيخ فضل المدفون فيها .

أداريس : هى من المدن المصرية القديمة ، أنشأها الهكسوس جنوبى مدينة بيلوز على الشاطئ الشرقى للفرع البيلوزى باسم حات أورات AVART,VATAWART ومنها اسمها الرومى OVRIS ، ولما تولى الملك رمسيس الثانى حكم مصر اتخذها سكنا ومعسكرًا له وسماه PERRAMNSES أو مدينة رمسيس وقد ازدهرت هذه المدينة فى أيامه .

ولما انقطع وصول ماء النيل إلى تلك الجهة بعد أن كانت تروى أراضيها وبساتينها، ومدينة الفرما وما جاورهما من مياه فرع النيل المعروف بالبيلوزى نسبة إلى بيلوز وهى الفرما، خربت تلك المدن ولم يبق من آثارها إلا بقايا من التلول الصغيرة، ومدينة أواريس أو رمسيس قد اندثرت ومحلها يعرف بتل الخير أو الهر الواقع فى الشمال الشرقي لبلدة القنطرة على بعد عشرين كيلومترا ، وفى الجهة الغربية من السكك الحديدية الموصلة إلى العريش على بعد كيلومترين .

وظن بعض الباحثين أن مدينة أواريس أو رمسيس هى مدينة تيكو التى سماها الرومان هيرويونبوليس التى مكانها تل المسخوطة، كما ظن البعض الآخر أن أواريس هى بلدة هوارة المقطع التى بالفيوم وقد دل البحث على أن هذه الظنون فى غير محلها وأن الصواب هو، ما ذكرنا .

يتضح من هذه الأمثلة كيف كان محمد رمزي يرجع لكتب التاريخ القديم وكتب الرحلات والمراجع المملوكية ، وكيف يرجح رأيا على رأى ، ويدلى برأيه الخاص المدعم بالأدلة والأسانيد .

وقد أصدر محمد رمزي الجزء الثاني من كتابه بتطور التقسيم الإدارى لمصر من عهد محمد على حتى عام ١٩٤٥ . وقسم

هذا الجزء من الكتاب ، أى الجزء الخلص بالبلاد الحالية كما ذكرنا إلى قسمين ، البلاد القديمة والبلاد الحديثة وجعل الفيصل بينهما ماورد فى كتاب التحفة السنية لابن الجيعان ، أى البلاد التى كانت موجودة حتى آخر العصر المملوكى . أما ما أنشئ بعد ذلك فى عصر العثمانيين وما بعده ، فاعتبره من البلاد الحديثة . وهذه أمثلة من المواد نستبين منها منهجه فى البحث .

الدُّقيِّ : هى من القرى القديمة ، وردت فى التحفة باسم حوض الدقى من صفقة الزنار من الأعمال الخيرية ، وفى تاج العروس : الدقى بضم الدال ، قرية صغيرة على شاطئ النيل الغربى تجاه الفسطاط .

وكان النيل يجرى تحت سكن هذه القرية ، كما هو مبين على خريطة القاهرة الملحقة بكتاب وصف مصر . ورسمتها البعثة الفرنسية طبع سنة ١٨٠٩ والآن قد تحول النيل عن هذه القرية بسبب الإصلاح الذى عمل فى مجراه الحالى لتحويله من الغرب إلى الشرق سنة ١٨٦٣ ،وبذلك أصبح مجراه يبعد عن سكن الدقى بمسافة كيلو متر واحد .

الطالبية : هى من القرى القديمة ، اسمها الأصلى طَلْبنيا ، وردت فى قوانين ابن مماتى من أعمال الجيزة ، ووردت فى تحفة الإرشاد طَنْبية من الأعمال المذكورة ، ثم حرف اسمها إلى الطالبية ، فوردت به كذلك فى قوانين ابن مماتى وفى تحفة الإرشاد ، ولم يرد فى التحفة ناحية مالية باسم الطالبية ، وإنما ورد الحصة بالطالبية ، مما يدل على وجود ناحية باسم الطالبية ووردت فى دليل سنة ١٢٢٤ هـ وفى تاريخ سنة ١٢٢٨ هـ .

بولاق الدكرور: أصلها من القرى القديمة ، قال المقريزى عند ذكر جامع التكرورى إن هذه الناحية من قرى الجيزة، كانت تعرف بمنية بولاق ، ثم عرفت ببولاق التكرورى ..... وأقول إن الصواب فى شكلها هو بلاق بكسر أولها ، لأن أصل اسمها المصرى Bilag ، وهى كلمة مصرية قديمة معناها المرساة والموردة،وأطلق هذا الاسم على بولاق هذه لأنها كانت الموردة قبل إنشاء مدينة الجيزة.

بلصفورة : هى من القرى القديمة ، ذكر إميلينو فى جغرافيته قرية باسم POURO . واسمها العربى بولسبور ، كما ورد

فى كشف الكنائس ، وقال إنه محـــال أن يجد هذا الاسم بين أسماء القرى المصريـة ، لاختفائه من جداول أسماء البلاد .

وبالبحث تبين لى أن هذه القريـــة لم تختف ، بل لا تزال موجودة وأن بولسبور هى بذاتها بلصفورة هذه ، فقط حـــرف اسمها ، بدليل أنها وردت فى قوانين ابـــن مماتي ، وفى تحفـــة الإرشـــاد وفى صبـــح الأعشى بلسبورة بالأخميمية وفى التحفـــة بلسفورة من الأعمال الأخميمية وفى تاريخ سنة ١٢٣١هـــ برسمها الحللى ووردت فى الخطط التوفيقية باسم بنى صبورة ، وهـــو اسم مختلق لا أساس له والعامة يســمونها " بلسبورة " وهو اسمها القـــديم وبعضـــهم يقول بلزبورة .

وبعد ، ماذا نحـــن فـــاعلون بهـــذا الكتاب؟ لقد انقضى ما يقرب من نصـف قرن على تأليفه ، وهو وثيقة تاريخية هامة، تحدد مرحلة من تاريخ مصر هى نهاية عهد الملكية (١٩٥٢ نهاية حكم أسرة محمـــد على) . وبدأت بعدها صفحة جديدة من تاريخ مصر ، تمتاز بالإصلاح الزراعـــى ، وتحديد الملكية . وتمتاز أيضا بـــالدخول فى مشاريع رى ومشاريع كبـــيرة . وإنجـــاز السد العالى وتحويل ما تبقى من حياض فى محافظات مصر الجنوبية إلى أراض تـــروى ريا دائما ، ونحن بصدد القيام بمشـــاريع استصلاح أراض جديدة ، فى شمال ســيناء وفى شرق الدلتا وغربها، وبصدد تعمـــير أطراف الصحارى، والواحات ، والساحل الشمالي للبلاد وإقامة مشاريع ســـياحية وعمرانية على ساحل البحر الأحمر .

وصفوة القول: نحن نشهد حركـــة عمرانية جديدة تضيف إلى خريطةَ مصـــر قرى جديدة ومدنًا وبلدانًا جديدة . ممـــا يضيف إلى كتاب محمد رمزى صفحـــات جديدة لا يستهان بها .

إن هذا الكتـــاب لجديـــر أن يحفـــز الدراسات الجغرافية التاريخية ويدفعـــها إلى الأمام ، ولجدير أن يدفعنا إلى تطويـــره ، بإضافة معالم العمران الجديدة إلى ســـجل العمران المَصري ، وتسجيل هذه المعـــالم ، وتأصيلها . كما فعل من سبقونا وآخرهم محمد رمزى . إن خريطة مصر العريقـة فى العمران دائمة التجدد والتألق، لأنها مصـــر العتيقة ذات الشباب الدائم .

محمد السيد غلاب

عضو المجمع